

دراسة للحياة السياسية والثقافية / البتراء محمود رضا

اسم البتراء (PATRA) مأخوذ من الكلمة اليونانية الرادفة للفظ (حجر) وهي الترجمة العبرية للفظ (سلع) الواردة في التوراة ويقابلها في اللغة العربية (الرقيم) وهي تُعرف اليوم بوادي موسى.

اصبحت البتراء في القرن الأول الميلادي مدينة حصينة لا يمكن اقتحامها من جهات الشرق والغرب والجنوب. وكانت قد قُدت من الحجر الصلد تحيط بها شواهد عالية من الصخور بحيث يكاد يستحيل الدخول إليها الا من ضيق مترج فيها.

وبهذا تكون الطبيعة قد حصنت البتراء والمنطقة التي أنشئت فيها. وبذلك يقول ديدورس الصقلي (ان بلدهم الوعر القاحل ساعدهم على التمتع بالحرية والاستقلال..). وكانت البتراء تنعم بمائها الصافي الغريز فليس هناك بين الأردن وأواسط الجزيرة يفيض بمثل هذا الماء لذلك كان عرب الجنوب المتجهون شمالاً في قوافلهم يحطون ويستريحون في مدينة البتراء. ثم طغى اسم البتراء حتى اصبح مُعبراً عن مملكة الانباط بأجمعها فكانت تسمى (بتراء العربية) (PETRAEA ARABEA).

وقعت البتراء ضمن منطقة امتدت مساحتها من جنوب فلسطين الى خليج العقبة، أي أراضي المملكة الأردنية الحالية ويحدها من الغرب وادي عربة ومن الشرق بادية الشام. واتسعت حدودها في حقل الازدهار وعلى عهد ملوكها العظام ومنهم الحارث الثالث حتى شمل سلطانها السياسي دمشق وأطراف نهر الفرات، والأقسام الجنوبية من فلسطين وهوران وايدوم ومدين الى جوف بلاد اليمن.

أحوال البتراء السياسية:

كانت البتراء عاصمة الانباط الذين ظهوروا على المسرح السياسي منذ سنة 500 قبل الميلاد وأنشأوا دولتهم بعد استيلائهم على بلاد الايديين. وازدهرت دولتهم حوالي خمسة قرون من القرن الرابع قبل الميلاد حتى سنة 106م حين استولى عليها الرومان وضمت الى ممتلكات الإمبراطورية الرومانية عليها (المقاطعة العربية ARABIA PROVINCIA) عاصمتها بصرى. فانتهت بذلك حياة بتراء ولم نسمع لها بعد ذلك دوراً او ذكراً سياسياً في التاريخ.

احتلت البتراء على عهد الانباط مركزاً دولياً استقطبت كثيراً من الأجانب ومنهم الرومان. وشهد تاريخها سلسلة من الحروب التي خاضها ملوكها مع البلدان المجاورة لها والطامعة في الاستحواذ عليها وخاصة الاستوريين ثم المقدزنيين عندما هاجمها الاسكندر المقدوني بحملة قوامها أربعة آلاف رجل وستمئة فارس ولكن هذه الحملة فشلت بالدفاع المستميت لاهل الانباط ثم هجمات السلوقيين التي أجبرت الانباط على الانسحاب الى الجبال والصحارى ففاوضهم السلوقيون على الصلح بعد ان أدركوا بأنه ليس بمقدورهم الاستيلاء على الانباط.

كما أدرك البطالمة في مصر بأهمية الاستيلاء على دولة الانباط فحاضوا حروباً عديدة معهم فشلوا فيها بعد ان اصطدموا بظروف البلاد الجغرافية الجبلية والصحراوية وببسالة أهلها في الدفاع عن دولتهم.

الأحوال الحضارية:

لما كانت التجارة أبرز عوامل ازدهار البتراء الحضاري لذلك كانت حياة البتراء مقرونة باستمرار النشاط التجاري فيها وبمرور القوافل عبر أراضيها مما يؤكد ذلك ان خطط الرومان لتدمير البتراء جاءت عبر تغيير خطوط تجارتهم بالسفر بحراً الى الهند، وتحويل خط القوافل بين الشرق والغرب الى منطقة شمالية فأصبحت " تدمر " مركز الاوسط بعد ان كانت سيادته وقفاً على البتراء وبهذا الصدد يقول فيليب متي (وقد تألبت هذه العوامل على الانباط فأدت الى تحطيم هيبتهم والقضاء على موقعهم الجغرافي فذهبت دولتهم).

وهكذا سرعان ما أصبحت البتراء مركزاً تجارياً واقتصادياً يساهم أهلها في التجارة والاقراض. وقد امتد نشاطهم التجاري الى مناطق واسعة، إذ وجدت آثارهم التجارية في سلوقية وموانئ سورية والاسكندرية وديلوس ورووس.

ومن معالم البتراء الحضارية إضافة للتجارة ازدهار فن العمارة فيها، فقد أخذ أهلها يشيدون البيوت والمسارح والأبنية الفخمة والقصور والمعابد ودوائر الحكومة وكثير منها منقور في الصخر ولا تزال بقايا موجودة في الرقيم موقع البتراء في وادي موسى وهي من أروع الأبنية والآثار مشيدة على الطراز الهيليني وهي تشهد على مدى تأثيرهم بالحضارة الهيلينية التي كانت سائدة في الشرق الأدنى آنذاك كما تدل على رقي الذوق الفني والرخاء وتقدم المدينة.

BAIT AL-ANBAT

بيت الأنباط